بسم الله الرحمن الرحيم

مناقشة في اللهجات العامية العربية

عمر محمد. 7 – 9 – 2021

omr-mhmd.yolasite.com

لقد وضعنا سابقا كتاب "قواعد الفصحى الدارجة" وفيه اقتراح لطريقة مختصرة في تشكيل الحرف الأخير من الكلمات دون الحاجة للدخول إلى علم اللغة وذلك اعتمادا على مجموعة من الأنماط التي تم الانتباه لها.

وأما هذه المقالة فهي مناقشة في موضوع اللهجات العامية العربية، وبحث في مشكلة حقيقية متعلقة بها وهي أنَّ عدد المفردات التي يستخدمها الأطفال العرب في أحاديثهم في البيت والسوق والشارع هي أقل بكثير من عدد المفردات التي يستخدمها الأطفال غير العرب.

الآن ... اللهجات العامية العربية مبنية على الكثير من القواعد الفصيحة؛ فقوالب اللغة (كتب يكتب اكتب إلخ) والمصادر والمشتقات وتركيب الجمل (إلخ) في هذه اللهجات مبنية عليها. ويغلب على الظن أن تواصل المجتمعات في قراءة وسماع القرآن قد منع هذه اللهجات من التَّحول إلى لغات تامة مستقلة، وبالتالي بَقيت هذه اللهجات مبنية على هذه القواعد.

وأما الفرق الرئيسي بين العامية والفصحى (والذي تسبب بباقي الاختلافات) فهو أن الكلمة في العامية هي وحدة واحدة لا تتغير بتغير موقعها الإعرابي. وسنقوم بتوضيح هذا الأمر بالمقارنة بين اللغة الإنجليزية والعربية الفصحى:

لنأخذ كلمة بيتر (Peter) في اللغة الإنجليزية، فهذه الكلمة هي وحدة واحدة لا تتغير باختلاف موقعها في التصنيف. ولكن لنأخذ كلمة "صَلاح" في اللغة العربية، فإن نبرة الحرف الأخير في هذه الكلمة تتغير باختلاف موقعها في الإعراب؛ فمن الممكن أن تكون هذه الكلمة في الجملة: "صلاحُ صلاحٌ صلاحَ صلاحًا صلاحِ صلاحٍ" وذلك بسبب الاختلاف في تصنيف الكلمة (فاعل مفعول مضاف مجرور إلخ). واللغة العربية هي اللغة الوحيدة (ضمن معلوماتنا) والتي لا تكون الكلمة فيها وحدة واحدة، وإنما تتغير النبرة الأخيرة في الكثير من كلماتها بسبب موقعها في الإعراب.

وهناك عشر نبرات ممكنة في الحرف الأخير في الكلمة وهي كالتالي: الضمة (صلاحُ)، والضمة المنونة (صلاحٌ)، والفتحة (صلاحَ)، والفتحة المنونة (صلاحًا)، والكسرة (صلاحِ)، والكسرة المنونة (صلاحٍ)، والسكون (اذهبْ)، ومَدَّةُ الألف (مها)، ومَدَّة الياء (يلتقي)، مَدَّة الواو (ذهبوا).

والقواعد المتعلقة بنبرات الحرف الأخير هي قواعد صعبة؛ إذ لا يتم تحديد هذه النبرات إلا بتحديد الموقع الإعرابي للكلمة، والموقع الإعرابي هو جزء من علوم اللغة. وعلم اللغة (في جميع اللغات) هي مادة صعبة؛ فمثلا: قواعد اللغة الإنجليزية (ضمن المستوى المطلوب للعموم) سهلة، ولكنَّ علم اللغة الإنجليزية هي مادة

صعبة لأن علم اللغة يتعلق بالكيفية التي يتم فيها ربط الواقع مع مفردات اللغة، ولهذا السبب فإن هناك تشابها كبيرا في علوم اللغات؛ فجميع اللغات فيها الأفعال والأسماء والأحرف إلخ.

الآن ... قواعد اللغة العربية هي سهلة جدا باستثناء موضوع النبرات في الحرف الأخير؛ فاشتقاق الكلمات وتركيب الجمل في اللغة العربية الفصيحة هي قواعد منطقية وسهلة جدا، ولكنَّ الصعوبة هي في تحديد النبرة للحرف الأخير في الكلمة.

وهنا نأتي إلى اللهجات العامية ... فالفرق الرئيسي بين العامية والفصيحة هو أن الكلمة في العامية هي وحدة واحدة لا تتغير، وتكون النبرة في الحرف الأخير لها إمَّا سكون أو المدَّات (مدة الألف أو الياء أو الواو)، وهذا تبسيط كبير مقارنة بالفصحى.

ولكن ... الحديث بلغة عربية فصيحة وبـ نبرات ساكنة يجعل موسيقية اللغة مزعجة جدا. وتستطيع الانتباه لذلك عند سماع الأخبار في القنوات التلفزيونية والتي تكون بالفصحى: فقد تَعَوَّد بعض مقدمي هذه الأخبار أن يُسَكِّنوا الحرف الأخير في الكلمة وذلك عملا بالنصيحة المشهورة: "سَكِّن تسلم"، ولكن هذا يجعل الموسيقية في الحديث مزعجة جدا؛ حيث إن الموسيقية في اللغة العربية الفصيحة تكون (بشكل رئيسي) عبر الكلمات.

والطريقة التي تشكلت فيها اللهجة العامية هي بمط وتعديل نُطق الكلمات وذلك لجعل الموسيقية (بشكل رئيسي) في الكلمات نفسها وليس عبرها. وفي بعض الاحيان يتم مط وتعديل نُطق الكلمة بحيث يكون في وسطها سكون، وهذا ما يجعل الموسيقية أكثر في الكلمات، وهذا هو الاختلاف الثاني بين العامية والفصيحة.

وما سبق قد أدى لخلق مجموعة من القواعد للهجات العامية، وهذه نقطة مهمة هنا: فاللهجات العامية العربية هي مجازا "لهجات" وإنما في الحقيقية (وضمن مبادئ علوم اللغة) هي لغات. ولنشرح هذا الأمر بالمقارنة:

هناك لهجات كثيرة في بريطانيا من شمالها إلى جنوبها، ولنفترض وجود شخصين أحدهما يتحدث اللهجة الاسكتلندية والآخر يتحدث اللهجة اليوركشارية (نسبة إلى يوركشاير في وسط بريطانيا).

الآن ... عندما نقوم بتسجيل حديث الاسكتلندي كتابة فإن هذا التسجيل يكون بلغة إنجليزية صحيحة، وكذلك عندما يتم تسجيل حديث اليوركشاري كتابة فإن هذا التسجيل يكون كذلك بلغة إنجليزية صحيحة. أي أن اللهجات المختلفة في بريطانيا تتوافق في القواعد والاشتقاقات والتركيب وإنما تختلف في نُطق الكلمة، فمثلا: الأُم باللغة الإنجليزية هي Mum، وتنطق في مناطق مَ.مْ وفي مناطق أخرى مُ.مْ.

ولكن ... في اللهجات العامية العربية فإن الاختلاف ليس فقط في نُطق الكلمات، وإنما القواعد نفسها تختلف بين العامية والفصيحة، ولهذا نقول إن اللهجات العامية العربية هي (ضمن علوم اللغة) لغات وليست لهجات.

وهذه هي إحدى المشاكل التي يُواجهها الأجانب الذين يتعلمون العربية: فاللغة التي يتعلمونها ليست هي نفسها اللغة التي يسمعونها في السوق والشارع. ولهذا يوجد في العالم العربي اللغة الفصيحة ومجموعة أخرى من اللغات العامية. وقواعد التركيب لهذه المجموعة متشابهة وإنما الخلاف هو في الكلمات وطريقة نُطقها؛ فهناك كلمات موجودة في المغرب العربي وليست موجودة في المشرق، وكذلك فإن نُطق الكلمات المتشابهة في المغرب ربما تكون مختلفة في المشرق.

ونستطيع وضع أمثلة عن القواعد المتشابهة في اللهجات العامية:

- كما ذكرنا سابقا فإن الكلمات في العامية تكون وحدة واحدة وتكون نبرة الحرف الأخير فيها إما سكون أو مَدَّة.
- الجملة في اللغة الفصيحة تبدأ (عموما) بالفعل، فنقول: جاء ناصر. وأما في العامية فتبدأ (عموما) بالاسم، فنقول: ناصر إجا.
- الجمع السالم في الفصيحة يكون بالواو أو الياء حسب موقعه الاعرابي (جاء المعلمون، ذهبنا إلى المعلمين)، وأما في العامية فإن الجمع السالم يكون دائما بالياء (إجا المعلمين).
- تختلف الكنية في الفصيحة حسب موقعها الاعرابي (جاء أبو ناصر، شكا زيد أبا ناصر، ذهبنا إلى أبي ناصر)، وأما في العامية فتكون دائما مرفوعة (رحنا لـ أبو ناصر).
- يتم في العامية اختصار "إلى" بحرف "اللام" كما في المثال السابق.
- إلخ.

وتوجد عندنا هنا مشكلة حقيقية واضحة للعيان: عدد المفردات اللغوية التي يستخدمها الأطفال الأوروبيون (مثلا) في أحاديثهم تفوق وبمراحل كثيرة عدد المفردات التي يستخدمها الأطفال العرب.

لماذا؟

لأن القصص التي توضع للأطفال في العالم العربي مكتوبة باللغة العربية الفصيحة، وهذه اللغة غير مستخدمة في الحديث العام في البيت والسوق والشارع، ولهذا فالطفل يتعلم لغتين: لغة في القراءة (من القصص التي يقرؤها أو تُقرأ له) ولغة في الحديث (من سماعه لأهله والمحيط حوله). والمفردات التي يتعلمها من القصص لا يستطيع استخدامها (بسهولة) في الحديث العام في البيت والمحيط.

وهذه هي مشكلة حقيقية.

ولكن في الوقت نفسه فإن العالم العربي بغريزته لا يُمكنه التَّخلي عن اللغة العربية الفصيحة حيث إنها لغة القرآن، والقرآن واللغة فيه هي الهويتان الرئيسيتان للعالم العربي،.ونقصد بالهوية هنا أنَّ العرب يُعَرِّفون أنفسهم للعالم أنهم الناس الذين يتحدثون العربية والتي هي لغة القرآن.

وبالتالي فنحن نريد البحث عن حل للمشكلة السابقة دون أن يُؤثر ذلك على وضع اللغة العربية الفصيحة.

فماذا نفعل؟؟

والحل الابتدائي الذي قد يُفكر فيه الكثير هو ترسيخ اللغة العربية الفصيحة لتكون الأساس في حديث الناس في البيت والسوق والشارع، أي كما كانت الحالة في العهد الجاهلي والإسلامي الأول. ونحن نرى أن هذا الحل ليس سهلا بل يغلب على التخمين أنه ليس واقعيا: فاللغة العربية الفصيحة لم تترسخ في العهد الجاهلي إلا بقيام الأهل بإرسال أبنائهم إلى البادية في السنة الأولى من ولادتهم. والقصة المشهورة أن الوليد بن عبد الملك لم يكن متقنا تماما للغة الفصيحة وذلك لأن والده لم يُرسله إلى البادية في صغره لتترسخ فيه اللغة.

ولا نظن أبدا أن يقوم الأهل في الوقت الحاضر أو المستقبل القريب بإرسال أبنائهم فور ولادتهم إلى المدارس الخاصة لتترسخ فيهم اللغة، ولهذا نظن حقا أن اللغة العربية الفصيحة لن تكون اللغة الدارجة في البيت والسوق والشارع، وهذا هو الواقع بالضبط منذ نهاية القرن الهجري الثاني إلى الآن.

ونحن لا نقول إن الرأي السابق (أسفل الخط) هو رأي يقيني، ولكن دعونا نتفق أن الحل السابق ليس سهلا، ودعونا نبحث عن حل ولو كان مُؤقتا.

ودعونا أولا أن نحدد ما هو الموجود (والذي كان موجودا منذ نهاية القرن الهجري الثاني إلى الآن) والذي نرغب ببقائه في أي حل يتم وضعه للمشكلة السابقة.

والموجود هو أن عموم المؤسسات العربية والمثقفين يكتبون رسائلهم وكتبهم ومقالاتهم باللغة العربية الفصيحة. وهذا الذي نريده أن يبقى ويستمر.

وهنا فإننا نقترح الحل التالي للمشكلة السابقة:

- يتم اختيار لهجة عامية ذات موسيقية جميلة بحيث لا تكون كلماتها مختلفة وممطوطة كثيرا عن أصلها العربي، ويكون نُطق الحروف فيها متوافقا مع العربية الفصحى، وتكون في الموقع الوسط بين اللهجات العامية العربية.
- يتم تحديد القواعد المتعلقة بهذه اللهجة (واللهجات العامية عموما متشابهة في القواعد).
- يتم التشجيع على كتابة قصص الأطفال بهذه اللهجة مع التقيد بالقواعد الموضوعة لها.
- ولا يُقبل كتابة الأخبار والكتب الأكاديمية بهذه اللهجة وإنما يجب التركيز باستمرار أن الأخبار والمؤلفات العلمية والأكاديمية تكون باللغة الفصيحة.

ويجب التنبيه أن هذه اللهجة لا تكون فرضا على باقي اللهجات، حيث إن اللهجات العامية العربية لها قواعد متشابهة، وبالتالي فإن القصة التي يتم كتابتها باللهجة الوسط يُمكن نُطقها بأي لهجة أخرى، بالضبط كما هي الحالة في إنجلترا، فإن القصة التي تُكتب باللغة الإنجليزية يتم نطقها بأي لهجة موجودة هناك.

والميزة في اختيار لهجة ذات موسيقية جميلة ولا تكون كلماتها مختلفة كثيرا عن الأصل العربي أنها ستكون "محطة ترانزيت" للأجانب الذين يرغبون بتعلم اللغة العربية الفصيحة، حيث إن قواعد هذه اللهجة هي أسهل بكثير جدا من القواعد الفصيحة (وخصوصا في موضوع النبرات للحرف الأخير).

ولكن أهم ميزة لهذا الاقتراح المقدم هو اعطاء القدرة للأطفال العرب استخدام العبارات (من مجاملات وتوضيحات وفنون بلاغية) التي يقرؤونها في تلك القصص (المكتوبة باللهجة العامية) في أحاديثهم اليومية فيما بينهم وبين أهليهم وأصدقائهم والمحيط حولهم.